

المعروف في غير أهله

يحكى أن رجلاً خرج للصيد، فوجد حية أمامه تستغيث به قائلة:

— أغثنى يرحمك الله ؟

قال لها :

— ومم أغيثك ؟

— من شخص يتبعنى وقد أصر أن يقطعنى قطعاً !

قال لها :

— ومن أنت ؟

— من أهل لنا إله إلها الله.

— وأين أحييتك؟

— فى جوفك أن كنت تريد المعروف .

فتح الرجل فمه ، وأدخل الحية فيه. وإذا بشخص غاضب يحمل سيفاً ، ويبحث فى الأرض، وعندما وجد الرجل سألته :

— أين الحية يا رجل ؟

— لنا أرى شيئاً.

— سبحان الله !

— نعم ، سبحان الله ما أرى شيئاً.

وعندما انصرف الشخص الغائب : أخرجت الحية رأسها من فم الرجل وقالت — هل انصرف ؟

— أجل

— إذن فاختر لنفسك إحدى طريقتين : إما أن أضع سمى فى قلبك فتهلك على الفور ، أو أقطع كبذك قطعاً تخرجها من بطنك؟

— وهل هذه مكافأتى ؟

— أجل لأنك وضعت المعروف فى غير أهله .

وعندما رأى الرجل تصميمها على قتله ، رجاها أن تمهله حتى يأتى سفح الجبل ، ويمهد لنفسه قبراً .

وبينما هو سائر ، كسيف المبال ، حزين القلب ، منكسراً ، قابله شاب حسن الوجه والثياب ، فقال له :

— مالى أراك أيها الرجل حزيناً بهذا الشكل ، وكأنك مسوق إلى حتفك ؟

— إننى بالفعل كذلك .

— وما السبب ؟

— فى جوفى عدو يريد هلاكى، ولما أستطيع النجاة منه.

فأخرج الشاب من جيبه شيئاً ودفعه إليه وقال:

— كل هذا ،

ففعّل ، فأصابه مخص شديد ، ثم دفع إليه قطعة أخرى وقال :

— كلها ،

فأكلها ، وما كاد يفعل حتى أفرغ من جوفه الحية قطعاً ممزقة . قال الرجل للشاب

— من أنت يرحمك الله ؟

— أنا المعروف . إن أهل السماء عندما رأوا غدر الحية بك اضطربوا ، كل يسأل ربك أن يغيثك . فقال الله عز وجل : يا معروف ، أدرك عبدى ، لأنه قصدنى بما صنع !!

ومما يرويه العرب أن قوماً خرجوا للصيد فطاردوا ضبعاً حتى ألجأوها إلى خيمة أعرابى ، فأجارها ، وجعل يطعمها .. فبينما هو ذائم ، وثبت عليه ، فبقرت بطنه ، وجاء ابن عم له يطلبه ، فإذا هو مبقور البطن ، فتبع الضبع حتى قتلها!

وحكوا أن أعرابياً ربى جرو ذئب ، وجعل يغذيه بلبن شاه له حتى كبر ، فخرج معها للرى كعادته ، وهناك تحركت غريزته الوحشية ، ونفسه الذئبية فانقض على المشاه واغتربها..

تلك بعض الحكايات عن وضع المعروف فى غير أهله من الحيوانات ، فما بالك بوضعه فى غير أهله من البشر ؟!

* *